

نيويورك تايمز»: مع أفكار ابن سلمان.. هل تنفصل السعودية عن هويتها الوهابية؟

مترجم عن

The New York Times

للكاتب Nabil Mouline

تضخّمت سرعة و مدى التغييرات في العربية السعودية بشكل ملحوظ بعد تنصيب محمد بن سلمان ولدّها للعهد، ولشرعنة تسلّقه السريع لولادة العهد قدّم ابن سلمان نفسه كبطل «العصرنة» إرضاءً لطموحاته بالحكم المطلق وليواجه التحدّيات الداخلية والخارجية.

العديد من تصريحات ومبادرات ولي العهد فُسّرت على أنها محاولات لكسر العقد التاريخي بين آل سعود والمؤسسة الوهابية، تصريحاته ومبادراته الداعية لـ«إسلام معتدل»، وبالسماح للمرأة بقيادة السيارة، وإعادة فتح دور السينما.

في هذا المقال المنشور في صحيفة «نيويورك تايمز»، يعرضُ نبيل مولين لسؤال إذا ما كانت الملكية السعودية قادرة على الانفكاك من علاقتها مع المؤسسة الوهابية والدينية؟ مولين هو باحث تاريخي وسياسي كتبَ عن السلطات الدينية والقوى السياسية في السعودية، وفي هذا المقال نعرض إجابته على السؤال.

زواجٌ قديم

في منتصف القرن الثامن عشر احتضن آل سعود محمد بن عبد الوهاب، الداعية الإحيائي الذي دعا لقراءة ضيّقة للقرآن والحديث، وهاجمَ أية انحرافات عن الأفعال التعبدية الأصلية، أو أيّ إضافات عليها. ومنَ انحرفوا عن العقيدة الوهابية نُفوا من الإسلام، وكان الجهاد الوسيلة الوحيدة لإرجاعهم إلى

الطريق الصحيح.

التحالف مع ابن عبد الوهاب وتابعه ساعد آل سعود على شرعة سياستهم التوسعية، وتأسيس دولة متينة في أوائل القرن العشرين لآل سعود احتكار السياسة والشؤون العسكرية، ولعلماء الوهابية مسؤوليات الدين والقانون والفضاءات الاجتماعية.

لا يبدو محتملاً أن ينفك^٣ ابن سلمان عن المؤسسة الوهابية، يضيف الكاتب: ببساطة؛ أثبت العلماء مرونتهم وأظهروا قدرة عالية على التأقلم مع انتقالات ونزوات السلطة، وتعود محاولات تهميش العلماء إلى بداية القرن العشرين.

أراد الملك عبد العزيز مؤسس الدولة السعودية الحديثة أن يحتكر السلطة، وحكم منذ 1902 وحتى 1953، فعمل مع شركاء غربيين وسعى لاعتراف العالم الإسلامي، وشعر^٤ أزنه في حاجة لإصلاح إسلامي يُضعف الوهابية و يجعلها أكثر اعتدالاً.

احتفظ علماء الوهابية بسلطتهم، بل تناولت بتقاديمهم لتنازلات أيديولوجية مُطهرين تقبلاً لغير الوهابيين، وسمحوا بوجود غير مسلمين في الأراضي السعودية، وقبلوا بالتعليم والنظام الإداري الحديثين.

لكل^٥ فتوى مقابلاً يُتابع مولين في عرضه لعلاقة الوهابية كمؤسسة دينية بالدولة السعودية، وكيف استجابت للتغيرات السياسية داخلية وإقليمية، فيقول إنه توجب على المملكة أن تُحدّث سريعاً في فترة ما بعد النفط، بين عقدي الخمسينات والستينيات، تحت حكم سعود، ثم فيصل، ابنَي عبد العزيز، البنية القديمة للملكة كانت ممُيّزة ومبنية على أشخاص للسيطرة بشكل حقيقي على الأرض، وإرضاء توقعات سكان مختلفين عن بعضهم البعض، وعدهم في تنازع مستمر، ولخلق مصادر شرعية جديدة لاحتواء الدعاوى المُهيمنة لأنظمة العروبية.

رأى المؤسسة الدينية في بناء الدولة والتغييرات المرافقية للبناء تهديدًا لم تعترض عليه، كان خراط البناء في المدارس ودخول التلفاز والسينما. على العكس في لقطات أخرى، استفاد العلماء من الصراع

السعديّ مع العروبيين بين 1950-60، وأخذوا من عوائد النفط الوفيرة ليجدّثوا المؤسسة الدينية بخلق مؤسسات جديدة بيروقراطية للفتاوى، ومكتبٍ لمنصب المفتي العام، ومدارس وجامعات دينية كالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض.

أنشأ العلماء محاكم دينية ومؤسسات إعلامية وإسلامية أممية، كرابطة العالم الإسلامي. الحادثة النفطيّة ساعدت المؤسسة الدينية في الحفاظ على تأثيرها، بل تصدير نظرتها عن العالم، الثورة الإسلامية في إيران مع الهجوم على المسجد الحرام في مكّة وغزو الجيش السوفييتي لأفغانستان عام 1979، كل ذلك هيّأ انقلاباً في المناخ لصالح المؤسسة الوهابيّة.

طبّقت الملكيّة السعودية الشريعة بصراحتها واستعادة مصداقيتها بعد هجوم مكّة واحتواء تحديات الثورة الشيعية ومحاربة الشيوعية. فرضوا عقوبات بدنية، وفصلَ بين الجنسين في المساحات العامة، وأغلقوا دور السينما مع تقوية الشرطة الدينية، ووفرّت السعودية دعمًا ماليًّا وأيديولوجياً للمجموعات الجهادية في أفغانستان وللحركات الإسلامية السنّية حول العالم.

«وها بيدّه وقت الحاجة»

بعد أن تأخذ ما ت يريد عليك السداد، ينتقل الباحث إلى المشاهد الأقرب والأحدث في العلاقة: دعم العلماء آل سعود أمام أعدائهم الداخليين والخارجيين، من آية الله الخميني إلى صدام حسين والإخوان المسلمين. ومن الجدير بالذكر الفتوى التي أصدرها العلماء بالسماح بتواجد قوات أمريكية في المملكة عام 1990 (وكان هذا يُعدُّ «موالاةً للكفار» قبل ذلك). هجوم 11 سبتمبر (أيلول) ورّط السعودية في موقف صعب؛ لأنّ أسامة بن لادن وغالبيّة خاطفي الطائرات كانوا سعوديّ الجنسية. أُجبرت المملكة على أن تفصل نفسها عن الحركات الجهادية وسمحت بانتقاد الوهابية، وانطلقت حوارات دينيّة وحوارات بين الأديان مع تقليل سلطات الشرطة الدينية مع تدابير أخرى.

حافظ العلماء على مصالحهم بإدانتهم الشديدة للجهاديين والإخوان المسلمين بالفتاوی، وبالمقالات والحديث في شبكات تلفزيونية. حتى أنّ بعض المراقبين تحدثوا عن سعودية ما بعد وها بيدّه. وحالما تلاشى الضغط بدأت المؤسستان العلمائية والملكية بالتشكيك في عملية الانفتاح.

بعد انتفاضة الربيع العربي في 2011، طلبَ الملك عبد الله بن عبد العزيز من المؤسسة الدينية دعمًا

للتصدي للتحديات التي طرحتها الربيع على السعودية. لم تتوانَ مؤسسة العلماء، وطلبت في المقابل توسيعًا لميزانيات المؤسسات الدينية وصلاحياتها لتزيد قمعها لأي خرق للشريعة في الفضاء العام، ولتروّج لخطاب مُعادٍ للشيعة ومُكمم للأفكار العلمانية.

صعود الملك سلمان للعرش عام 2015 أخذَ بيد ابنه الأمير محمد إلى الأمام. شَجَبَ ولي العهد الأفكار المتطرفة، ووعد بدعم الإسلام المعتدل، وفُسِّر كلامه هذا على أنه رغبة متعددة للانفصال عن الوهابية. قراءة عن قرب تُظهر أنَّ الأمير يُدين الإخوان المسلمين بشكل أساسي والجهاديين، ويُبرئُ الوهابية.

قدّمت المؤسسة الدينية دعمًا فولاذياً للأمير محمد ووافقت له على قراراته بفتاوی منشورة كالتي تسمح للمرأة بقيادة السيارة، وتنازل العلماء في المسائل الثانوية لمّا وضعتهم موازين القوى أمام خيارات قليلة، واستطاعوا الحفاظ على سلطتهم. ستظلُّ الوهابية ركيزةً للمملكة على المدى المتوسط. المؤسسة الدينية تُسيطر على مواد هائلة ووسائل رمزيةً لتدافع عن مكانتها؛ كالمدارس والجامعات والمساجد وزارات وكيانات دولية ومجموعات إعلامية، وأيّةً مواجهة بين أطفال آل سعود وورثة الوهابية ستكون هدّامة لكتلهم.

ما القادر؟

لم يواجه العقد التاريخي بين الملكية والمؤسسة الدينية أي تحدٍ حقيقيٍ من قبل. أُعيد تصميم وتفسير المؤسسة الدينية في فترات الانتقال والأزمات لتعكس تغيرات علاقات القوى بشكل أفضل، ولتنحي للشريكين أن يتحرّكوا بكفاءة أفضل. ليُفسخ العقد بين الوهابية والملكية فسخًا حقيقيًا على الملكية أن تجد بدلاً اجتماعيًّا. وفي الوقت الحالي لا يملك الأمير محمد دعمًا كاملاً من النخب والسكان، ولا وضعًا اقتصاديًّا سليمًا في سياق مرغوب، ليس لديه إلا ميوله الشخصية.